آثار رفع دعم المواد الغذائية على مستوى عيش العائلات ونسب الفقر

* عبد الرحمان اللاحقة: أستاذ محاضر المعهد العالي للتصرف بتونس

أعلنت الحكومة التونسية في بداية سنة 2023 عن البدء برفع الدعم عن المواد الأساسية والمحروقات والكهرباء ضمن برنامج يمتد على أربع سنوات. وإن كان هناك توافق واسع على ضرورة إصلاح منظومة الدعم دون الرفع المتسرع وغير المدروس تبقى نقطة الاختلاف الجوهرية في كيفية إصلاح المنظومة وحماية التونسيات والتونسيين من الآثار السلبية لرفع الأسعار على قدرتهم الشرائية وتوازناتهم المالية والاجتماعية. وبيّنت التجارب الدولية أن إنجاح أي برنامج إصلاحي يجب أن ينبني على عدة مبادئ أساسية وهي الحوار للتوافق على أهداف الإصلاح وكيفية تطبيقه وسياسة اتصالية ناجعة لضمان تبني أوسع شريحة من الشعب للإصلاح، وحماية رفاه المواطن عبر تنفيذ إصلاحات موازية مثل سياسات التأجير والجباية والحماية الاجتماعية إذ أن الهدف الأخير لكل إصلاح يبقى تحسين الوضعية الاقتصادية للمواطن وليس تعميق الفقر والفوارق الاجتماعية. ومن جانب آخر، يجب أن تنبني عملية الإصلاح على معطيات علمية دقيقة وتحليل موضوعي لآثار الإصلاح على المواطن. من المؤسف أن نلاحظ أن جميع المبادئ الآنف ذكرها تمّ تجاهلها من قِبَلِ السلطة الحالية في ظل غياب الحوار الجدي والمسؤول مع الاتحاد العام التونسي للشغل حول هذا الملف المهمّ وغياب أي تواصل ناجع مع المواطن في ظلّ تضارب التصريحات وضبابية التدخلات الإعلامية للعديد من أعضاء الحكومة حول أهداف وكيفية الإصلاح كما نسجل غياب أي تقييم علمي لمدى نجاعة المنظومة الحالية وأثر رفع الدعم على العائلات.

لا يهدف هذا المقال إلى التطرق إلى جميع جوانب الإصلاح وكيفية تنزيله على أرض الواقع في ظل وجود عديد الاستراتيجيات العقلانية التي يمكن التوافق حولها بقدر كبير من التروي وفي إطار حوار مسؤول. ولكن في المقابل، نحاول أن نقدم قراءة محايدة وموضوعية للآثار المرتقبة لرفع الدعم على التونسيات والتونسيين دون إطلاق أي أحكام شخصية.

ويهتمّ هذا الجزء الأول من المقال بتقدير آثار رفع الدعم عن المواد الغذائية الأساسية بالاعتماد عن البيانات المنشورة من قِبَلِ المعهد الوطني للإحصاء للمسح الوطني حول استهلاك ومستوى عيش الأُسَر لسنة 2022-2021. وسنوافي القارئ بتحليل آثار رفع الدعم المحروقات حالما تتوفر البيانات المفصلة حول استهلاك هذه المواد.

ولفهم الخصائص الاستهلاكية للعائلات التونسية يقدم الجدول 1 معدل الاستهلاك الشهري العائلي العادي لمختلف شرائح المجتمع والذي يتراوح من 806 دنانير للشريحة الأولى (أي 20 % الأكثر فقرا من الشعب) إلى 2787 دينارا للشريحة العليا. ويبلغ استهلاك الشريحة الوسطى معدل 1395 دينارا وهو ما يقابل عائلة من 4 أشخاص لمعلم مدارس ابتدائية. ويتراوح وزن المواد الغذائية المدعمة من 7,2 % (58 دينارا) للشريحة الفقيرة إلى 2,5 % (70 دينارا) للشريحة العليا. وبمعدل عام في حدود 3,8 %.

ويقدم الجدول 2 معدل الكميات المستهلكة شهريا ويبين في الوقت نفسه أن كميات الاستهلاك تتشابه كثيرا بين العائلات بالنسبة إلى عدة مواد كالسكر والزيت والكسكسي لكن هذا لا يجب أن يحجب أن الكميات الفردية تقلّ كثيرا للعائلات الفقيرة بالنظر إلى أن عدد افرادها أكبر بكثير من العائلات الميسورة (4,9 أفراد للشريحة الأولى مقابل 2,9 للشريحة الخامسة). وتميل العائلات الأقل دخلا إلى استهلاك كميات أكبر من السميد والعجين الغذائي مقابل كميات ضعيفة للحليب. وكما كان منتظرا فإن خصائص استهلاك الخبز تختلف كثيرا بين الفئات الفقيرة التي تحبذ الخبز الكبير مقابل استهلاك أعلى للبقات للفئات الميسورة.

ويقدم الجدول 3 الارتفاع المبرمج لأسعار المواد الغذائية المدعمة على ضوء الأسعار العالمية لسنة 2022. وكما يمكن ملاحظته فإن غالبية المواد ستشهد ارتفاعا بنسب عالية تتراوح بين 280 % إلى 533 % دون اعتبار السكر الذي سيعرف ارتفاعا طفيف بـ3,5- %

يقدم الجدول 4 الأثر المرتقب لرفع الدعم على ميزانية مختلف الشرائح والذي يتراوح بين 110 دنانير شهريا إلى 99 دينارا مع معدل عام بـ104 دنانير. وتمثل الخسارة المنتظرة نسبة 13,6 بالنسبة إلى الشريحة الأضعف.

يقدم الجدول 5 الأثار المرتقبة لرفع الدعم على نسب الفقر الذي من المنتظر أن يرتفع بـ5,6 نقاط مئوية ليصل إلى مستوى 22,2 % مقابل 16,6 % حاليا أو ما يقابل 2,6 مليون فقير مقابل 1,9 مليون فقير في سنة 2022. ويتأتى التأثير الأكبر من رفع الدعم عن السميد والخبز بجميع أنواعه.

الجدول 1: معدل الاستهلاك الجاري للعائلة (دينار/شهريا)

	الاستهلاك العائلي الشهري	سكر	خبز كبير	باقات	حليب	زيت	سميد	كسكسي	عجين غذائي (مقرونة)	فارينة	إجمالي السلع المدعومة	النسبة من ميزانية العائلة
الشريحة الخمسية 1	806	5	5	10	18	4	8	2	5	1	58	7,2
الشريحة الخمسية 2	1137	5	5	12	22	4	6	2	4	1	62	5,5
الشريحة الخمسية 3	1395	6	4	13	23	4	5	2	4	2	64	4,6
الشريحة الخمسية 4	1692	5	4	13	23	4	4	2	4	2	62	3,7
الشريحة الخمسية 5	2787	7	2	16	29	4	3	3	4	2	70	2,5
المعدل	1684	6	4	13	24	4	5	2	4	2	64	3,8

الجدول 2: معدل الكميات المستهلكة شهريا للعائلة

	السكر (كغ)	خبز كبير (وحدة)	باقات (وحدة)	حليب (لتر)	زيت (لتر)	سميد (كغ)	كسكسي (كغ)	عجين غذائي (كغ)	فارينة (كغ)
الشريحة الخمسية 1	4	24	52	13	4	12	3	6	1
الشريحة الخمسية 2	4	22	63	16	5	8	3	5	2
الشريحة الخمسية 3	4	19	70	17	5	7	3	5	2
الشريحة الخمسية 4	4	15	71	17	5	6	3	5	2
الشريحة الخمسية 5	5	10	84	22	5	4	3	5	2
المعدل	4	17	70	18	5	7	3	5	2

الجدول 3: معدل أسعار المواد في سنة 2022

	السعر المبدئي	دعم	السعر بدون دعم
سكر	1 400	50	1 450
خبز كبير	230	726	956
باقات	190	380	570
حليب	1 350	410	1 760
زيت	900	3 901	4 801
سميد	680	2 166	2 846
كسكسي	795	2 672	3 467
عجين غذائي (مقرونة)	820	2 649	3 469
فارينة	850	1 533	2 383

الجدول 4: الأثر الشهري لرفع دعم المواد الغذائية بالدينار

	سكر	خبز كبير	باقات	حليب	زيت	سميد	كسكسي	عجين غذائي (مقرونة)	فارينة	مجموع
الشريحة الخمسية 1	-0,2	-17	-20	-5	-17	-26	-7	-15	-2	-110
الشريحة الخمسية 2	-0,2	-16	-24	-7	-18	-18	-7	-14	-3	-107
الشريحة الخمسية 3	-0,2	-14	-27	-7	-18	-15	-7	-14	-3	-105
الشريحة الخمسية 4	-0,2	-11	-27	-7	-19	-13	-8	-14	-3	-102
الشريحة الخمسية 5	-0,3	-7	-32	-9	-18	-9	-9	-12	-3	-99
المعدل	-0,2	-12	-27	-7	-18	-15	-8	-14	-3	-104

الجدول 5: آثار رفع دعم المواد الغذائية على نسب الفقر

	معدل الفقر	التأثير على الفقر
مع الدعم	16,600	.
سكر	16,612	0,012
خبز كبير	17,545	0,945
باقات	17,756	1,156
حليب	16,870	0,270
زيت	17,481	0,881
سميد	17,721	1,121
كسكسي	17,031	0,431
عجين غذائي (مقرونة)	17,352	0,752
فارينة	16,719	0,119
بدون دعم	22,208	5,608